و﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾[١] وترى أنه ذوقها هي أم ثمرتها؟ إن الشجرة لا تؤكل أو تذاق بسوقها وأوراقها! وإنما أثمارها، فهي هي التي نهي عنها، والنهي عن قربها تأكيد للنهي عن ثمرتها، «فالمعاصي حمى الله فمن حام حول الحمى أوشك أن يدخلها».

وهنا الأكل منها يعني ذوق ثمرتها، دون شبع للبطن منها، ولا أكل دون ذلك، وإنما ذوق الأكل وأكل الذوق: أقل ما يسمّى أكلاً، ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾[٢] ما أن بدآ يأكلان، ولذلك عبر عنه بالذوق.

وهذا الأكل الذوق خلّف دون فصل أو اختيار ظهور السوءات، ومن ثم حياة العناء الهابطة الخابطة.

٤ - وكيف النهي؟

لقد نهى الله تعالى آدم وزوجه عن أكل الشجرة وذوقها نهياً مؤكداً منذراً: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ - ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٣] - ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[٤].

فهنا يهدد في اقتراف المحظور بالخروج عن الجنة والشقاء وأنه ظلم، ثم ينادي في آيات أخرى أنه زل عن طاعة الله بوسوسة الشيطان: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾[٥] ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[٦]!

فهناك فيما فعله آدم وزوجه: زلة وغواية وظلم وعصيان وشقاء، وكلٌّ

(١) سورة طه، الآية: ١٢١.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.
(٤) سورة طه، الآية: ١١٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.
(٦) سورة طه، الآية: ١٢١.

منها كاف في التدليل على أنهما ارتكبا الحرام، كما و﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ تؤكده وتشدده!

فالزلة هنا هي الزوال عن الحق أو زوال الطاعة: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾[١] والغواية جهل عن اعتقاد فاسد: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[٢] ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾[٣].

والظلم انتقاص إما بحق النفس والغير وهو أفحشه، أو بحق الغير وهو أوسطه أو بحق النفس وهو أدناه، وليس بحق الله إذ لا ينتقص في شيء: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٤]، وقد ظلم آدم نفسه فانتقص حاله ومستقبله!: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٥]. ثم قد يكون الظلم بالنفس دون اقتراف منهي عنه كما في يونس: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٦]: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾[٧] حيث لم يسبق ليونس نهي عن ذهابه عن قومه مغاضباً مستاءً أن عصوا الله، وإنما انتقص في دعوته الرسالي إذ ذهب عن قومه ولم يصابر!..

وأظهر منه ظلم موسى نفسه فإنه قتل القبطي المشرك المقاتل للإسرائيلي الموحّد، وليس هذا محرماً حتى ولو لم يقاتل المشرك فإن دمه هدر، فكيف إذا قاتل الموحد فإن مطاردته تصبح واجبة، فهذا ذنب العصيان عند المشركين: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[٨] وطاعة خاطئة عند الموحدين: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾[٩] فلم يقل غيري وهو قد قتل، وإنما

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٥٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٧) سورة القصص، الآية: ١٦.
(٨) سورة الشعراء، الآية: ١٤.
(٩) سورة النمل، الآية: ٤٤.

﴿نَفْسِي﴾ حيث أخر دعوته الرسالية نتيجة قتله القبطي، إذ كان الأحرى أن يدفعه ولا يقتله حتى لا تتأخر دعوته، ولكنه ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾[١] فوكزه عملُ الرحمان وقد كان مقصوداً للدفاع عن الموحد، وقتله من عمل الشيطان ولم يكن مقصوداً حيث يؤثر الدعوة، وطلب الغفر عن هذا الذنب الظلم لا يعني إلّا أن يستر الله على البغضاء الفرعونية حتى يواصل موسى في دعوته.

ومهما يكن هنا وهناك من شيء فليس الظلم من يونس وموسى مسبوقاً بنهي، وإن كان مرجوحاً وجاه الدعوة الرسالية، لكن ظلم آدم كان مسبوقاً بأشد النهي موصوفاً بالزلة والغواية والعصيان، إذاً فهو الظلم الحرام مهما كان من أدناه، وقد هدّد الظالمون العصاة بعدم الفلاح ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢] والهلاك: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾[٣] واللعنة: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٤] وبضلال مبين: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٥] مهما اختلفت مراتب الهلاك والضلال واللعنة حسب اختلاف الظلامات.

فهل لك بعد ذلك كله أن توجّه ظلم آدم وعصيانه وزلته وغوايته بظلم غير محرم كما في يونس وموسى، وبينهما مثلث البون:

١ - إنهما لم يسبق لهما نهي، وقد سبق لآدم أشده بتهديدات!

٢ - إنهما اعترفا بظلم توجّهه قرينته أنه - فقط - انتقاص في الدعوة دون قصد، ولكن آدم وزوجه ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: سائر الظالمين العصاة لا ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ حتى يتحمل ما تحمّله في يونس وموسى!.

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٢١.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٧.
(٤) سورة هود، الآية: ١٨.
(٥) سورة لقمان، الآية: ١١.

٣ - إنّ ظلم آدم مقرون بقرائن قاطعة أنه ظلم الزلة والغواية والعصيان، دونهما حيث القرائن تنفي عنهما ظلم العصيان.

وترى هل يتحمل هكذا نهي أنه تنزيهي إرشادي، فإن ذوق الشجرة أتبع الهبوط عن الجنة فعناء الحياة الأرضية وشقاءها، فقد نهيا عنها إرشاداً إلى التحرز عن هذه الشقاء، ولولا أنه - فقط - إرشادي: لا مولوي - لأنتجت توبتهما رجوعهما إلى ما كانا فيها ولم يرجعا بعدها؟!

إلّا أن المتصور من النهي والأمر: المولوية - الإرشاد - مجموع الأمرين.

فإذ ينهى المولى مولوياً وللإرشاد إلى ما يحمله من فساد، كان العصيان ثنائياً فالظلم اثنان، كما في أكثرية النواهي التشريعية.

وإذ ينهى مولوياً دون إرشاد إلى محظور الفساد، فهذا نهي ابتلائي فعصيان واحد لا اثنان، كما في القليل من موارده.

وإذ ينهى إرشادياً لا مولويّاً، فقد يتحمل توجيه خلاف الأولى! وقد لا يتحمله.

والأغلبية الساحقة من أوامر الله ونواهيه هي من القبيل الأول فإن الله يأمر وينهى كرب العالمين ومولى الخلق أجمعين، بما يحمل توجيهات - عرفناها أم لا - إلى مصالح فيما يأمر ومفاسد فيما ينهى، فليس ذكرى التبعات في المنهيات مما يزحزحها عن المولويات. كما ليس ذكر المثوبات في المأمورات يجعلها - فقط - إرشاديات، فكثير هذه الأوامر والنواهي القرينة بذكر المصالح والمفاسد، دنيوية أو أخروية، ترغيباً إلى الطاعات وترهيباً عن المحظورات.

وهنا الله تعالى ينهى آدم وزوجه عما ينهى مهدّدا لهما أنه ظلم يتبع شقاء كما في الكثير الكثير مما ينهى سائر الجنّة والناس، فهل هي كلها إرشادات

تُحمل على ترك الأولى، وقليل هذه الأوامر والنواهي التي لا تحمل إرشادات؟

بل الأصل فيها كلها أن تكون إرشادية من المولى سبحانه، إلّا ما بثت أنه مولوي دون إرشاد، كما أمر إبراهيم أن يذبح إسماعيل عليه السلام ثم لا نجد أمراً إرشادياً أو نهياً في صيغة الغواية والظلم والعصيان أن لو ترك اللّهم إلّا في مستحبات ومكروهات تحمل إرشادات غير ملزمة وهي بحاجة إلى قرائن قاطعة.

ثم التوبة عن الذنب ليس لزامها رجوع التائب إلى كل ما كان قبل الذنب، وإنما الرجوع إلى الله فرجوع الله إليه ألّا يأخذه بنكاله، وقد يكون - أيضاً - رجوعاً إلى سائر ما كان.

أترى أن الآكل للسمّ، الذي تأثر في جسمه لحدّ الموت، هل هو يرجع إلى صحته الأولى أن لو تاب؟ أو أن القاتل لابنه هل يرجع هو غير قاتل، وابنه حياً بعد ما تاب؟.

كذلك آدم وزوجه إذ عصيا بما هددهما الله ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[1] إرشاداً إلى تبعة هذا العصيان التي هي لزامها، مهما تاب أو تابع في العصيان، ولكنما التوبة ترجعه إلى ما كان من نزاهة وطهارة الطاعة، دون هذه التبعة الدنيوية للعصيان.

فالأصل في التوبة إزالة التبعات الأخروية، وقليلة هذه التوبات التي تزيل تبعات من الدنيوية كذلك.

وأما القول أن نهيه كان في الجنة قبل تشريع أية شريعة، حيث شرّعت بعد هبوطه إلى الأرض: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ

(١) سورة طه، الآية: ١١٧.

وَلَا يَشْقَىٰ﴾[١] إذ توحي بمستقبل الهدى بعدما ﴿ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[٢].

إذاً فلا يعني نهيه في الجنة نهي تشريع وحكم حتى يحرم عصيانه؟

فهذا غريب في نوعه! فإذ لا شريعة في هذه الجنة - وحتى بقدر نهي واحد - فكيف ينهى الله فيها، وأقل النهي أن يحمل تنزيهاً وهو من الشريعة، وإذا صحّ نهي تنزيه صح نهي تحريم على سواء فإنهما في كونهما من الشريعة شرع سواء.

ثم النص ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ وقد هداه هنالك وجاه الشجرة سلباً وإيجاباً: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[٣] سلباً لاتّباع الشيطان ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾[٤] وترغيباً لاتباع الرحمن، - فليست هذه الهدى تكفي آدم في الانتهاء بنهي الله، مهما عبّرت عنه بشرعة أو غير شرعة، وليست الشرعة إلّا طريقة الهداية إلى طاعة الله قلّت أو كثرت، وقد انحصرت شريعته في الجنة في السماح من أكل ثمار الجنة كلها إلّا هذه الشجرة، ثم توسعت في الحياة الأرضية، كل حسب مقتضياتها ومتطلباتها، وكما تختلف الشرائع الأرضية هكذا: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا... لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ...﴾[٥]. ومن الغريب الإصرار على هذه التأويلات المخالفة للآيات، وإجابة الإمام الرضا عليه السلام عن مشكلة عصيان آدم مع نبوته

(١) سورة طه، الآية: ١٢٣.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٢.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٧.
(٤) سورة طه، الآيتان: ١١٨ - ١١٩.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

مشهورة، أنه كان قبل النبوة[١] ثم لا نجد تأويلاً يجعل عصيانه خلافاً للأولى!

٥ - كيف يجوز العصيان من الخليفة المفضلة على الملائكة وهو نبي؟!

في الحق أن آدم عليه السلام لم يكن نبياً حين عصى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[٢] فاجتباؤه بما تاب عليه وهدى كان بعدما عصى وغوى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ

(١) نور الثقلين: ١/ ٥٩ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناده إلى علي بن محمد الجهم قال حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام فقال له المأمون: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله - ليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ - إلى أن قال بعد عرض قصة الجنة والشجرة: وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار وإنما كان من الصغاير الموهوبة التي تجوز على الأنبياء وقبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢١-١٢٢] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وفي الدر المنثور: ١/ ٥٤ عن أبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث قال، قال الله تعالى يا آدم اخرج من جواري فبعزتي لا أساكن من عصاني ولو خلقت ملء الأرض مثلك خلقاً ثم عصوني لأسكنهم دار العاصين قال: - رأيت إن أنا تبت ورجعت - تتوب علي؟ قال: نعم يا آدم!

وأما ما في الدر المنثور أنه كان نبياً حين دخل الجنة فلا يناسب الآية كما أخرجه الطبراني وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله! - رأيت آدم أنبياء كان؟ قال: نعم كان نبياً رسولاً كلمة الله قبلاً، قال له: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

أقول: مجرد تعليم الله لا يدل على نبوة وإلّا كانت أم موسى وأم عيسى من النبيين إذ كلمهما الله وكذلك الشيطان حيث خاطبه الله فهذا الحديث وأمثاله مردود مزور على رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه مخالف لكتاب الله.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٢١ - ١٢٢.

عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] «فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيره ولا كبيرة»[٢].

وخطابه بوحيه قبل نبوته لا يجعله نبياً حيث خاطب الله مريم وأم موسى دون نبوة، وخاطب إبليس الكافر كما خاطب آدم الخليفة، فليس الخطاب إذاً دليلاً على النبوة حينه.

وترى كيف شمله عهد الله: النبوة، وهو ظالم ناقض لعهد الله:

الطاعة -: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[٣] ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤] - فليس العصيان الغواية ظلماً ونقضاً لعهد توحيد الطاعة، وعهد الله: الإمامة النبوة، لا ينال الظالمين وإن ظلموا لمرة وقبل النبوة؟.

أجل إنه ظلم، ولكن عهد الله في آية الإمامة هو عهد الإمامة في النبيين، لا عهد مطلق النبوة، وإنما النبوة المطلقة التي تقود نبوات جزئية، حيث الرسالة والنبوة درجات: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٥] فالرسالة المفضلة لحدِّ الإمامة، وعلّها ولاية العزم الخاصة بالخمسة الذين دارت عليهم رحى الرسالات، هذه الرسالة القمة هي المقصودة بعهد الله في آية الإمامة حيث لا تنال الظالمين، لا مثل آدم الذي هو في أدنى درجات النبوة!

وترى أن آدم حين المعصية نسي الشيطان أنه عدوٌّ له؟ وقد عرّفه ربه إياه

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٢) الهامش رقم واحد ص٣١٣.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

وأراه شخصه!: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[1] كما وحوار الشيطان إياه حين أزلّه تذكّره أنه من هو؟: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ . . .﴿٢٢﴾﴾[2]!.

أم هل نسي الرحمن أنه ربه؟ وأنه أحط دركات الغفلة عن الله فكيف يناسب آدم الخليفة!..

أو نسي نهيه؟ وقد ذكره الشيطان بنهيه: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا﴾! ومن قبل ما استكبر إبليس عن السجود له فلا ينسى موقفه منه.

إذاً فما هذا العهد الذي نسيه فدفعه إلى ارتكاب الخطيئة؟

قد يكون هو العهد العام المأخوذ على بني آدم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[3].

ولكنه يعم بني آدم دون آدم، وآدم لم يعبد الشيطان وإنما اغتر بما غرّه، وملامح العهد أنه فوق ما عهده الله إلى بني آدم: ﴿عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾[4] لا بني آدم أو الإنسان.

أو أنه العهد المأخوذ في الذر على توحيد الربوبية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[5]؟ وهذا العهد وإن كان أعلى من الأوّل، فقد يعم ويناسب آدم، ولكنه أيضاً من بني آدم!

(١) سورة طه، الآية: ١١٧.
(٢) سورة الأعراف، الآيات: ٢٠ - ٢٢.
(٣) سورة يس، الآية: ٦٠.
(٤) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

أو أنه الميثاق المأخوذ على النبيين، في درجة أعلى من توحيد الربوبية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾[١].

أو أنه عهد خاص إليه كما إليهم خاصة العهود حسب درجاتهم؟ ولكنه لآدم كان قبل نبوته: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾[٢] وعلّه بمناسبة المحنة الإبليسية عهد يضم توحيد الربوبية وترك طاعة الشيطان ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[٣]: إذ لم يثبت ويعزم على عهده، فلم يكن النسيان مما يرفع عنده التكليف، وإنما التناسي الغفلة الغفوة الذي يتنافى وذكر الربوبية الموحّدة، فكل تخلف وعصيان هو من خلفيات نسيان حضرة الربوبية ولحدّ الإعراض عن ذكر الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[٤].

وترى أنه كان عصياناً كبيراً؟ إذ كان النهي مؤكداً: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ حيث النهي عن القرب إلى شيء يوحي بأن محظوره عظيم: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾[٥] إيحاء ثان إلى تأكد النهي بنونه الثقيلة.

ثم في اتباعه لإبليس وهو يعرفه بعينه وقد سبق التحذير عنه، وكأنه صدّقه ناصحاً: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾[٦] ما يوحي كأن الله غشه

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧ - ٨.
(٢) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٤) سورة طه، الآية: ١٢٤.
(٥) سورة طه، الآية: ١١٧.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢١.